

أنوار كاشفة      سلسلة من يقول الناس إنني أنا؟      الحلقة السابعة عشرة

إن لم تؤمنوا إنني أنا هو تموتون في خطاياكم

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نتابع في لقاء اليوم حديثنا عن حقيقة شخصية المخلص المسيح، وإن كان هو مجرد نبي كباقي الأنبياء أم شخصية مختلفة؟

وكنا قد تحدثنا عن عدة عجائب قام بها المسيح تؤكد حقيقة شخصيته الإلهية. كعجوبة إقامته للعازر من القبر، وشفائه للرجل المقعد، وللذي ولد أعمى، وإطعامه للجموع الغفيرة، واسكاته للأمواج الصاخبة في البحر، وإخراجه للأرواح الشريرة. وقد رافقت هذه العجائب تصريحات هامة للمسيح، تؤكد أنه كلمة الله الأزلي المتجسد، وابن الله الوحيد. كقوله: أنا هو القيامة والحياة، أنا هو نور العالم، أنا هو خبز الحياة، أنا هو الباب، أنا هو الراعي الصالح، أنا هو الطريق والحق والحياة.

وفي اللقاء الماضي تأملنا بسؤال طرحه المسيح على الفريسيين وهو: ماذا تظنون في المسيح. ابن من هو؟ فلما أجابوه أنه ابن داود. أجابهم المسيح بسؤال آخر: فكيف يدعو داود بالروح رباً؟ فلم يستطيعوا الإجابة. لقد كشف المسيح في سؤاله هذا عن حقيقة هامة، وهي أنه كلمة الله الأزلي هو موجود مع الله الأب منذ الأزل. ولهذا فهو رب داود، بالرغم من أنه أتى من نسله عندما تجسد. وهذا تأكيد لحقيقة شخصية المسيح الإلهية.

وفي لقاء اليوم سنتأمل بحوار طريف وهام آخر جرى بين المسيح واليهود. فقد قال المسيح مرة لليهود: " أنتم من هذا العالم. أما أنا فلست من هذا العالم.. لأنكم إن لم تؤمنوا إنني أنا هو تموتون في خطاياكم." (بشارة يوحنا ٨: ٢٣ و٢٤) كشف المسيح في هذا الحديث عدة حقائق هامة. فلقد قال لليهود أنهم كبشر هم من هذا العالم، بينما هو ليس من هذا العالم. فهو يختلف عنهم في طبيعته، لأنه كلمة الله الأزلي الذي أتى من السماء وتجدد وصار إنساناً. أما الحقيقة الثانية الهامة فهي أنه عليهم لكي يخلصوا، وينجوا من عقاب خطاياهم أن يؤمنوا به، وإلا فسيموتون في خطاياهم، ويستحقون بالتالي دينونة الله.

لكن ماذا قصد المسيح بقوله: إن لم تؤمنوا إنني أنا هو؟ لقد كان الله في العهد القديم يستخدم عبارة: أنا هو للدلالة على شخصه، وإن استخدام المسيح لنفسه هذه العبارة هنا يشير إلى طبيعته الإلهية. فإن لم يؤمنوا أنه هو الرب، كلمة الله المتجسد فسيدانون على خطاياهم. لكن اليهود لا يريدون أن يعترفوا بحقيقة شخصية المسيح، وأنه من عند الله الأب قد أتى. لهذا سألوا المسيح: " من أنت؟

فأجابهم المسيح: أنا من البدء ما أكلكم أيضا به... لكن الذي أرسلني هو حق. وأنا ما سمعته منه فهذا أقوله للعالم. (بشارة يوحنا ٨: ٢٥ و ٢٦) أي أكد المسيح لهم أن ما يكلمهم به منذ البداية هو نفسه لم يتغير، بل إن أعماله العجائبية تؤكد حقيقة كلامه وحقيقة شخصيته الإلهية. وأن ما يتكلم به هو صادر عن الله الأب نفسه الذي أرسله، وهو الحق.

لكن اليهود لم يفهموا كلام المسيح أنه كان يقول لهم عن الله الأب. ولهذا تابع المسيح قائلا: " متى رفعتم ابن الإنسان فحينئذ تفهمون أي أنا هو ولست أفعل شيئا من نفسي بل أتكلم بهذا كما علمني أبي. والذي أرسلني هو معي ولم يتركني الأب وحدي لأني في كل حين أفعل ما يرضيه. " (بشارة يوحنا ٨: ٢٨ و ٢٩) تحدث المسيح عما سيحدث له عن قريب، عندما يرفع اليهود المسيح (ابن الانسان) على الصليب ويموت. وبعدها سيقوم من بين الأموات، وعندها سيدركون من هو. ويعلمون أنه هو المسيح الذي أرسله الله إلى العالم. ولنلاحظ هنا تكرار المسيح لتعبير أنا هو، أي تفهمون عندها أي أنا هو الرب، المسيا المنتظر الذي تنبأ عنه الأنبياء، كلمة الله الأزلي الذي أتى إلى العالم. وهو هنا يعلن أنه ينفذ مشيئة الله الأب الذي هو معه دائما.

ويخبرنا البشير يوحنا أنه بينما كان المسيح يتكلم بهذا الكلام آمن به كثيرون من اليهود. فقال لهم المسيح: " إنكم إن ثبتتم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي. وتعرفون الحق والحق يحرككم. أجابوه: إننا نرى إبراهيم ولم نستعبد لأحد قط. كيف تقول أنت إنكم تصيرون أحراراً. أجابهم يسوع: الحق الحق أقول لكم إن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية.. فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً. " (بشارة يوحنا ٨: ٣١-٣٦، ٣٤)

لقد علم المسيح أن هؤلاء اليهود لم يؤمنوا به حقا ومن القلب، لهذا أراد أن يكشف لهم ماذا يعني الإيمان الحقيقي به. لأن الإيمان بالمخلص المسيح لا بد أن يحرر الإنسان من عبودية الخطية، فهو الحق الذي يحرر. لكن الغريب في الأمر أن هؤلاء اليهود رفضوا هذه الحقيقة، وادّعوا أنهم من ذرية إبراهيم، ولم يُستعبدوا لأحد قط. إذ ظنوا أن كونهم من نسل إبراهيم هم أحرار بطبيعتهم وليسوا عبيدا، فكيف يقول المسيح أنهم يصيرون أحراراً؟ مع العلم أنهم كيهود كانوا مستعبدين وتحت الاحتلال الروماني. لكن المسيح لم يكن يتحدث عن الاستعباد الخارجي بل عن عبودية الخطية من الداخل، والتي هي أصعب وأخطر من الاستعباد الخارجي. ولهذا عاد المسيح وأكد لهم أن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية. أي أن كونهم من نسل إبراهيم لا يغيّر من هذه الحقيقة شيئا. لأن المهم هو أن يحررهم الابن أي المخلص المسيح لكي يصبحوا أحرارا حقا.

ثم أضاف المسيح قائلا: " أنا عالم أنكم ذرية إبراهيم.. أنا أتكلم بما رأيت عند أبي. وأنتم تعملون ما رأيتم عند أبيكم. أجابوا وقالوا له أبونا هو إبراهيم. قال لهم يسوع لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم. " (بشارة يوحنا ٨: ٣٧ و ٣٩) لم

يكن المسيح بالطبع جاهلاً أن هؤلاء اليهود هم من نسل إبراهيم. لكن كونهم عبيداً للخطية، فإن إبراهيم ليس هو أباهم الحقيقي، لأنهم لو كانوا أولاد إبراهيم لعملوا أعمال إبراهيم، بينما هم يعملون أعمال أبيهم الحقيقي.

أجاب اليهود المسيح قائلين: "إننا لم نولد من زنا. لنا أب واحد وهو الله. فقال لهم يسوع لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني لأني خرجت من قبل الله وأتيت. لأني لم آت من نفسي بل ذاك أرسلني." (بشارة يوحنا ٨: ٤١ و٤٢) حتى الآن لم يدرك هؤلاء اليهود المعنى الروحي لقول المسيح، لهذا قالوا له إننا لم نولد من زنا، وأن أباهم هو الله. فأجابهم المسيح أنه لو كان الله أباهم كما يدعون لكانوا أحبوه وآمنوا به، لأن الله الأب هو الذي أرسله. لعل السؤال الآن: من هو إذن أب أو والد هؤلاء اليهود؟

أجابنا المسيح عن هذا السؤال عندما قال لليهود: "أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. ذاك كان قتالاً للناس من البدء ولم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق. متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما له لأنه كذاب وأبو الكذاب." (بشارة يوحنا ٨: ٤٤) هذه هي الحقيقة المرّة التي يجب أن يعرفها ليس هؤلاء اليهود في أيام المسيح فحسب، بل كل إنسان. أننا نحن البشر خطاة ومستعبدون للخطية، وأن إبليس الشيطان هو أبونا الحقيقي، لأننا نفعل حسب إرادته.

إن إبليس هو مصدر الخطية، وهو الذي خدع أبونا الأولين آدم وحواء، وأوقعهما في خطية العصيان على الله. ومنذ ذلك الوقت ورث الجنس البشري بأكمله طبيعة الخطية، وأصبح إبليس هو المسيطر عليه. لهذا أرسل الله الأب كلمته الأزلي الرب يسوع المسيح إلى عالمنا، لكي يحرر الإنسان من عبودية إبليس والخطية، وليهبه الغفران، ويجعل منه إنساناً جديداً يسلك في طريق الصلاح والخير. ولكي يستطيع أن يقوم المسيح بعمل التحرير هذا، كان لا بد له أن يكفر عن ذنوب الجنس البشري بموته الفدائي على الصليب وقيامته المجيدة من بين الأموات.

فهل تود مستمعي أن تتحرر من عبودية الخطية وإبليس؟ تعال إذن وآمن بهذا المخلص الفريد الذي تنازل من السماء لكي يهبك الحرية الحقّة. فهو الذي قال: إن حركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً.